

(من كتاب الحج وروح العبادة فيه)

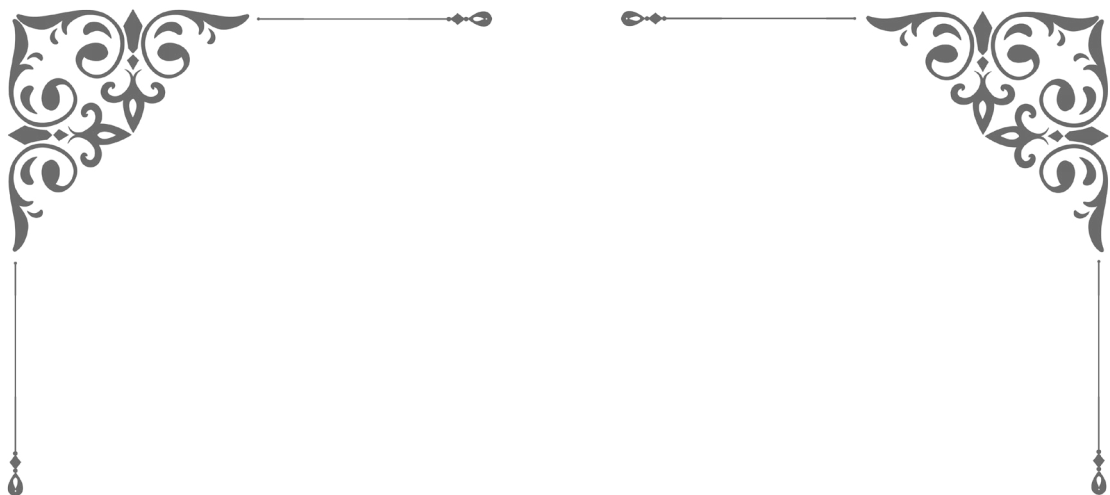
(٧)

التلبية والإهلال في الحج

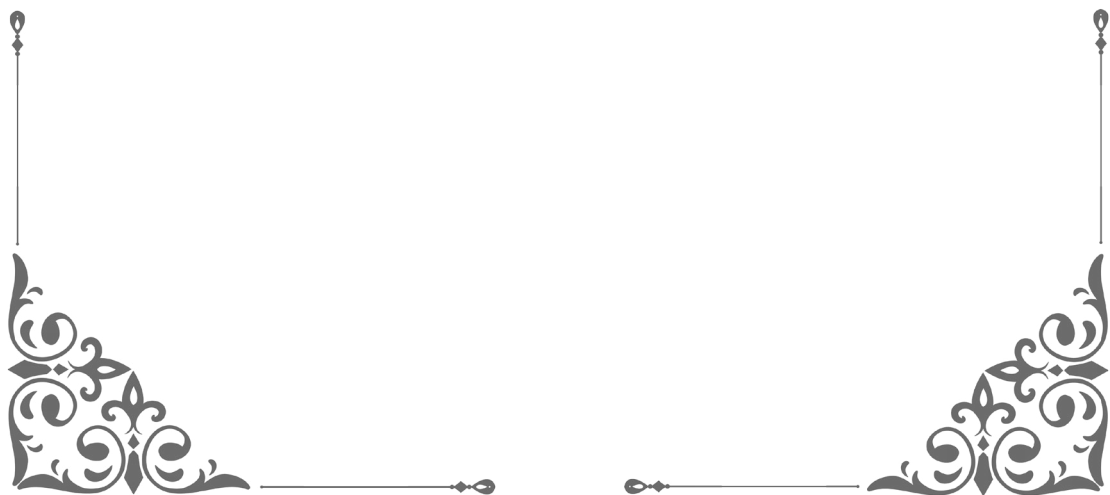


تأليف

عادل بن عبد العزيز الجهني



محفوظ جميع الحقوق





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من شعائر الحجّ الظاهرة: التلبية والإهلال.

ولقد كان التوحيد في تلبية رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظاهرًا، فكان يُلَبِّي بقوله: (لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنُّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، قَالَ جَابِرٌ: لَا يَزِيدُ عَلَيَّ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ) (١).

وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يلبي وهو مستحضر ألوهية ربه البينة، فكان يقول في تلبيته: (لَبَّيْكَ إِلَهَ الْحَقِّ) (٢).

فالتلبية شعار التوحيد، الذي هو روح الحجّ ومقصده، بل روح العبادات كلها والمقصود منها؛ ولهذا كانت التلبية مفتاح هذه العبادة التي يدخل بها الحاجُّ في النُسك.

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أحمد، وهو في السلسلة الصحيحة.



ومعنى التلبية: الإجابة بعد الإجابة، كأنّه قال: كلما أجبته في أمر فأنا في الأمر الآخر مجيب، فالحاجُّ قد استجاب لأمر ربه الذي أمره بالحجّ إلى بيته، فانقاد له ولبّاه.

ومن معاني التلبية: الإقامة واللزوم، فيبقى الحاجُّ مقيمًا على طاعة ربه ملازمًا لها طيلة أيام نسكه.

ومن معانيها: أنها تتضمن الخضوع والذلّ، أي خضوعًا لك بعد خضوع، من قولهم: أنا مُلبّ بين يديك، أي خاضع ذليل.

ومن معانيها: حُبًّا لك بعد حب، من قولهم "امرأة لَبَّة" إذا كانت مُحبة لولدها، ولا يقال لبيك إلا لمن تحبه وتعظمه، ولا أعظم حُبًّا من عبدٍ أحبّ ربه ومولاه، فاستجاب لأمره، ولبّي نداءه.

وهي متضمنة لإخلاص العمل، مأخوذ من لبّ الشيء، وهو خالصه.

فتأمل أثر التلبية في نفس المُلبّي حين يقولها مستحضرًا هذه

المعاني، فهو مجيبٌ لربه، منقادٌ له، مقيمٌ وملتزمٌ لطاعته طيلة نسكه وعباداته في الحجّ، محبٌ لمولاه، خاضعٌ له، ولبّ تلك المعاني (الإخلاص لله فيها).



التلبية والإهلال في الحجّ



ولو سكنت معاني هذه التلبية في نفس كلِّ ملبٍ لشعر بأثرها،
ولأدّى عبادة الحجّ والعمرة بصورة يُرى أثرها عليه.

فلذا كان لزاماً على كلِّ مُلبٍّ، ومتقرّبٍ إلى ربه بهذا النُسك
الجليل أحياء هذه المعاني في نفسه عند تلبيته لينتفع بها، وليؤدّي
هذه العبادة على أكمل وجه.

لقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكثِر من التلبية في مناسك الحجّ
كلها من حين إحرامه حتى يرمى جمرة العقبة، وهكذا ينبغي
على كلِّ مُحرم أن يفعل ليعيش مع هذه العبادة في غالب أوقات
إحرامه، فعن أسامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ رَدَفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
عَرَفَةَ إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ، ثُمَّ أَرَدَفَ الْفَضْلَ مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ إِلَى مِنَى، قَالَ:
فَكَلاهُمَا قَالَ: "لَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ
العَقَبَةِ" (١).

يفعل ذلك مذكراً نفسه بها، ومعلماً ومُرشدًا أمته للإكثار منها
حتى يرموا جمرة العقبة يوم العيد.

(١) رواه البخاري.



التلبية والإهلال في الحجّ



وقد ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلأُمَّةِ فضائل التلبية حتى يحرصوا عليها، ويكثرها منها، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "أفضل الحجّ العجّ والشجّ" (١).

والعجّ: رفع الصوت بالتلبية، **والشجّ:** سيلان دماء الهدي لله عزَّ وجلَّ.

ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "ما من مسلم يُلبّي إلا لبّي ما عن يمينه وشماله من حَجْرٍ أو شَجْرٍ أو مدرٍ حتّى تنقطع الأرض من هنا وها هنا" (٢).

فإذا لبّي الحاجُّ فإنه يشعر بتراپطه مع سائر المخلوقات حيث تتجاوب معه في عبودية الله، ويكون هو السبب لهذه العبوديات لها. ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فضلها: "ما أهلّ مُهلٌّ قطُّ ولا كَبَّرَ مُكَبَّرٌ قطُّ إلا بُشِّرَ بالجنة" (٣).

فجديرٌ بالحاجِّ والمعتمر أن يمضي جُلَّ وقته فيها، وعند تغير الأحوال من الصعود والنزول، وعند إقبال الليل وإدبار النهار،

(١) أخرجه الترمذی، وهو في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه الترمذی، وهو في صحيح الجامع.

(٣) أخرجه الطبراني، وهو في صحيح الجامع.



فما يُرى من ضعف هذه العبادة عند المعتمرين والحجاج جدير بإيقاظه، إحياءً لهذه السُنّة التي ضُعب أدائها عند الكثير.

والإكثار من التلبية منذ تلبّس المُحرم بإحرامه سببٌ رئيسٌ في أداء الحجّ على أحسن وجه، وأكمل حال، فلها أثرها المعلوم في زيادة الإيمان، خصوصًا مع استحضار معانيها، حتى إذا ما شرع في طوافه كانت النفس قد تهيّأت للعبادة.

ومما يقوله المُلبّي في تلبّيته: (إِنَّ الْحَمْدَ وَالنُّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ)

(فهي مشتملةٌ لحمد الله الذي هو من أحبّ ما يتقرّب به العبد إلى الله، وعلى الاعتراف لله بالنعم كلها، ولهذا عرفّها باللام المفيدة للاستغراق، أي النعم كلها لك، وأنت موليتها والمنعم بها، وعلى الاعتراف بأنّ الملك كله لله وحده، فلا ملك على الحقيقية لغيره)^(١).

فهنيئًا لحاجّ أزم نفسه هذه التلبية في حجّه، وقالها بحضور قلب.

(١) [انظر مختصر تهذيب السنن لابن القيم (٢ / ٣٣٥-٣٣٩)]